المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

قراءة في أنثروبولوجيا الجزائر من 1830 إلى 1962.

Reading in the anthropology of Algeria from 1830 to 1962

د. بن عرفة إبراهيم *: أستاذ مؤقت بجامعة علي لونيسي، البليدة 02.

د. بشيرة عالية *: أستاذ محاضر - أ- بجامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة.

تاريخ الإرسال: 20 / 02 / 2019	تاريخ القبول: 2019/05/22	تاريخ النشر: 2019/09/29

ملخص:

تعد الأنثروبولوجيا علما فتيا في الساحة الاكاديمية، له الكثير من الاسهامات في الساحة العلمية في الدراسات الحقلية، وقد كانت مرتبطة دوما بصفة الاستعمار وغالبا ما يتم وصمها بهاته الصفة، غير أنها قدمت للجزائر دراسات هامة وحساسة في عدة ميادين كان ولا بد من الرجوع إليها، لمعرفة مواطن التغيير والتحول الاجتماعي الذي يعرفه المجتمع الجزائري في حراكه خصوصا في العصر المعاصر ولئن كانت الأنثروبولوجيا تشهد نهضة معرفية وثقافية إلا أنها لا تزال ترتدي لباس الغرابة لدى الطلاب والأساتذة، لذا كانت ورقة بحثنا هاته موجهة نحو قراءة لعلم الأنثروبولوجيا في محور تخصصي هو الأنثروبولوجيا الجزائرية التي تعد الجزائر ميدانها الأساسي للدراسة خصوصا الدراسات المعمقة في الفترة الإمبريالية مع أهم الكتاب وإضافتهم للجزائر ولهذا العلم .

الكلمات المفتاحية: أنثروبولوجيا; الجزائر; الاستعمار; **الكتابة الحقلية; المجتمع الجزائري.**

Summary :

Anthropology is considered a young science in the academic arena. It has a lot of contributions in the field studies scientifically, and it has always been associated with colonization and it is often stigmatized by its nature; however, it has provided Algeria with important and sensitive studies in several fields which must been referenced to know the place of change and social transformation that Algerian society knows in its mobility, especially in the contemporary era. While anthropology is witnessing a renaissance of knowledge and culture, but it still wears the oddity dress for both students and professors. Therefore, this research paper is directed towards reading anthropology in a specialized field: The Algerian Anthropology, which consider Algeria as a primary field of study, especially for deep studies in the imperialism period with the most known writers and their additions to Algeria and to this science .

Keywords : Anthropology; Algeria; colonization; Field writing; Algerian society.

* د. بن عرفة إبراهيم، أستاذ مؤقت، جامعة علي لونيسي البليدة 02، أنثروبولوجيا عامة، bbenarfa@yahoo.com

* د. عالية بشيرة، أستاذ محاضر -أ-، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، علم الاجتماع الثقافي، aliabachira@gmail.com

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة :

«Il y une Algérie des anthropologues .L'Algérie des chimères et des idées historiquement condamnées, mais singulièrement vivaces. Le crâne colonial pèse aujourd'hui encore sur la connaissance de L'Algérie-et celle qu'elle tente de libérer à son profit ..... »[1]

لفت انتباهنا هذا المقطع الذي ابتدأ به كتاب جون كلود فاتان وفيليب لوكا المعنون ب جزائر الأنثروبولوجيين كتمهيد أو مدخل عام لهذا الأخير، والذي ألفه الكاتبان اعتمادا على جملة من الدراسات الحقلية التي كانت الجزائر أرضا خصبة لها خصوصا في الحقبة الاستعمارية، والتي نادرا ما نجد دراسات أو كتابات أخرى تتناولها بعد نهاية تلك الحقبة بالرغم من غزارة الإنتاج المعرفي والعلمي في جميع الميادين، وهو ما ساهم في تكوين إشكالية كبيرة لدى نخبة المثقفين والباحثين الأكاديميين، وحتى الطلبة الجامعيين لأن الجزائر كانت ولا تزال أرضا خصبة بتنوعها الثقافي والجغرافي، ومهدا للبحوث الأنثروبولوجية والفكر الإناسي، وما دفعنا للأخذ بهذا الطرح هو أن الجزائر مرت بعدة أشكال من الحكم والاستعمار مما ساهم في دفع وتنشيط الحركة المعرفية، سواء كانت ذات أغراض علمية أو محل أطماع استعمارية إبان الإمبريالية الفرنسية على طول قرن و32 سنة من الاحتلال: فما السبب في القطيعة مع هاته الدراسات بصفة خاصة؟ حيث لا نجدها متوفرة في المكتبات الجامعية سواء باللغة الأصلية أو حتى مترجمة؟ كما أن القطيعة مع علم الأنثروبولوجيا هي قطيعة عامة فكلما ذكر هذا العلم إلا وتم ربطه بالسياسة الاستعمارية ؟

من هذا المنطلق سنحاول في هذا البحث الكشف عن أهم الكتابات ذات الصبغة الأنثروبولوجية التي تناولت الجزائر كحقل ميداني لها، ونبرز أهم المواضيع التي تطرقت إليها، كذلك محاولة فهم القطيعة التي وأدت هذا العلم في بلادنا لفترة من الزمن، والتأسيس لمحاولات في أنثروبولوجيا الجزائر.

أولا :البدايات الأولى للكتابات الحقلية في أنثروبولوجيا الجزائر

بعد اكتشاف العالم الجديد وقع نوع من الغرابة أثناء دراسة الشعوب المسماة بشعوب العالم الثالث، نظرا لطبيعة تركيبتها الاجتماعية وطريقة عيشها والأنظمة التي تسير طريقة حياتها، حيث مازالت تعيش على السليقة في نظام اجتماعي قبلي عشائري يسيره الإنتاج المشترك والاكتفاء الذاتي، وتقاسم الإنتاج سواء من الزراعة أو الصيد وهو ما يعتبر جديدا كل الجدة عن هؤلاء الرحالة والدارسين أو بالأحرى نظرة الغلو والنزعة الإيديولوجية المركزية التي كانت تميزهم ورؤيتهم للآخرين بأنهم أبعد ما يكون

[1] P .Lucas & J .C. Vatin : L'Algérie des anthropologues ,FM/Fondation ,paris 1975, P 07.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

على الحضارة[2]. وتم طرح التساؤل الآتي: ما هي الميكانيزمات التي يجب وضعها في دراستنا لها؟ وهل مرت بتطور معقد أو خط تاريخي وصولا لما هي عليه اليوم؟ أم أننا وجدنا أنها وليدة الصدفة؟

بناءا على ما سبق نستطيع القول بأنه ظهر نوع من الإناسة من أجل تطوير هاته الشعوب وحتى لا يحدث خلط، ونعتبر بأن الأنثروبولوجيا وليدة الاستعمار لأن الكتابات التي كتبت استعملت ككتابات تجارية، الغرض منها هو البحث عن مصادر طاقوية وبديلة ومواد أولية تحتاجها مصانع الثورة الصناعية في فترة الازدهار الأوروبية، وعليه يلزمنا التحقيق في ذلك بكل علمية وأمانة موضوعية، فكيف نتصور الآخر الذي سيتم استعماره لأن الاستعمار وفي بداية نهايته إكتشف في الشعوب النامية وبصفة خاصة إفريقيا (الفلاح والعامل والكائن الاجتماعي باختصار الإنسان، بدل الكائن الغريب البدائي، باني الأنظمة ما قبل المنطقية)[3].

وعليه نستطيع التأكد بأن معظم الكتابات لم تكن من طرف أكاديميين مؤهلين علميا بل متعددة من طرف رحالة رجال دين سياسيين عسكريين وتطغى عليها الصبغة الكنسية الدينية[4]. والتي من خلالها تم إرسال حملات تبشيرية على إثرها تم تشييد عدة مدارس وكنائس من خلالها درست الشعوب المغاربية بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة من حيث نمط العادات والتقاليد والعرف والقانون والوضع الاجتماعي بشكل شبه علمي .

ولكن ما الذي دفع بالأنثروبولوجية الشهيرة فاني كولونا Fanny Colonna إلى القول لا بد من غربلة هاته الدراسات وتحقيقها وتدقيقها لتفادي الوقوع في الذاتية وتقصي الموضوعية لصناعة علم قائم بذاته. ربما هذا يرجع إلى أنه لما أيقن العلماء بأن هذا العلم ارتبط بالمصلحة الكولونيالية قاموا بنقده (العلم) من أجل تخليصه من براثن الاستعمار وعلى سبيل الذكر: كلود ليفي ستراوس Claude Lévis Strauss في كتابه الفكر المتوحش أثناء نقده لجون بول سارتر Jean Paul Sartre صاحب كتاب نقد العقل البدائي هذا الأخير يكتب من منطلق ماركسي فلسفي بحت، [... بأنه يستحيل على المجتمعات البدائية امتلاك عقل منطقي...] ، وهو ما فنده ستراوس Strauss في أبحاثه وكذلك كتابات جون كوبانس Jean Copainsوكيف يبين لنا أن الاستعمار له مصالح من خلال الاكتشافات التي يقوم بفضلها بنهب خيرات وثروات هاته البلدان.

هنا اختفت أطروحة البدائي السعيد الذي لا هم له سوى رغد العيش، لتحل محلها أطروحة الإنسان الجامد المتحجر الكسول فهو ثمرة طبيعية معطاء: (...إذا كانت الأرض خصبة والمناخ مناسبا

[2] جمال معتوق، الانثربولوجيا المداخل النظرية والمفاهيم، دار الكتاب الحديث،القاهرة، 2016، ص 38.

[3] جيرار ليكليرك، الأنثربولوجيا والإستعمار،ت جورج كتورة، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990، ط2، ص 23.

[4] علي محمود اسلام الفار : الانثروبولوجيا الاجتماعية الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 23.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والمياه جارية، تسقط الثمرة لوحدها فلا تنتظر قيام صناعات في مثل هذه المناطق أما أين يوجد مناخ يارد قاسي يمكن إنتظار إنتاج غزير ومتنوع...)[5]، وهذه هي حجة الاستعمار من خلال مثل هذه البحوث.

ثانيا : حالة المجتمع الجزائري قبل الاحتلال

لقد أقر المفتش العام للمعارف بفرنسا موريس كروزويه Maurice Crozet في كتابه تاريخ الحضارات العام بأن جل الاكتشافات التي كان يقوم بها الأوروبيون تدخل في إطار شهوانية الرغبة، الرغبة في الربح وتحقيق مدخول تجاري اقتصادي يدر الأموال الطائلة لدول أوروبا القديمة والمتنافسة فيما بينها للظفر بخيرات القارة السوداء كما قال: (... الحضارات القائمة في هذه الأقطار الجاهلة لأصول الكتابة في أدنى صورها والعاجزة عن الاحتفاظ بمدوناتها البدائية، تكون السواد الأعظم مما تقع عليه العين من أنماط أخرى متغايرة ... فالمستندات الوحيدة المتوفرة، تتألف من عدة كتب: حول إفريقيا الشمالية، بلاد الزنج، العرب والبربر، بعض العلائق عبر التاريخ ...)[6]، ومما كتب عن الجزائر بأنها كانت خاضعة لنظام الدايات والداي ينتخب عادة من طرف ضباط الانكشارية، وقد وقع حوالي 14 إنقلابا أدت إلى موت الحاكم العام في كل مرة من بين 30 دايا، تعاقبوا على حكم البلاد في الفترة ما بين 1671 و 1818 وكانت الصناعة الشهيرة التي تمتاز بها آنذاك هي القرصنة البحرية، بالإغارة على السفن التجارية والبحرية إلى أن تشكل أسطول قوي، بلغ عتبة 27 سفينة حربية مجهزة ما دفع بالدول الأوروبية إلى دفع إتاوات للداي من أجل سلامة سفنها، ونظرا لكساد صناعة القرصنة وعدم وجود صناعة بحرية ذات أسس علمية ولقلة الاهتمام بالأسطول الجزائري آخذ يتآكل عبر الوقت حتى بقيت 10 سفن عام 1788 وذلك كان لتردي الزراعة والجفاف، وجلب الأوبئة الدخيلة من أوروبا عن طريق الشركات التجارية حتى أنتشر وباء الطاعون أكثر من مرة وأدى إلى أزمات صحية كبرى عانت منها الجزائر، زد على ذلك أعباء الضرائب الثقيلة التي كانت تثقل كاهل النظام الاجتماعي القبلي، والتي كانت تقوم بحروب وانتفاضات داخلية على تلك الإتاوات المجحفة، ما عجل في سقوط الدولة الجزائرية أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر .

ثالثا: الاسقاطات النظرية على البناء الاجتماعي الجزائري

ساهمت البحوث الأنثروبولوجية والاجتماعية التي كان المجتمع الجزائري مخبرا خصبا وحقلا مميزا لها، بعمليات هدم وتفكيك التركيبة الاجتماعية ودراستها دراسات مفصلة وعميقة وتوصلت إلى نقاط قوته وضعفه، وإيجاد السبل المناسبة للتحكم في الأوضاع التي يعيشها ونذكر منها نظريات التحليل السائدة في تلك الفترة :

[5] المرجع نفسه، ص 19

[6] موريس كروزويه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد م داغر، منشورات عويدات، بيروت/باريس، 1987، ص 345.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

1 تحليل فالونسي (valloncié):

نجد الكثير من المفكرين قد إعتمدوا على الجانب الإنتاجي لتفسير بنية المجتمع الجزائري من أمثال فالونسي valloncié) وكارل ماركس (Carle Marx) وقد استنتجت فالونسي بأن المجتمع الجزائري ليس إقطاعيا، بحكم أن الفائض الذي يمكن استخراجه من الفلاحين كان ضعيفا جدا، والفائض في الإقتصاد يعتمد على التقنية والتقنية غير موجودة في مجتمع يعتبر فلاحيا رعويا، وبالتالي انعدام العبودية وهو ما يفسر عدم وجود نظام إقطاعي ومنه فالفرضيات التي صورت بأن المجتمع هنا مجتمع إثني قد فندت تماما، وذلك لانصهار الفروقات الاجتماعية في اللحمة البنائية الكلية للمجتمع الجزائري وهذا التيار يمثله بيار بورديو(Pierre Bourdieu) في دراسته لمنطقة القبائل والميزاب والوسط[7].

2 تحليل كارل ماركس (Carle Marx) :

أما ماركس (Marx) فقد اهتم بأسلوب الإنتاج في الجزائر، وذلك بعد زيارة قادته إليها بعدما تعّرض إلى صدمة نفسية عميقة، أواخر عام 1881 إثر الوفاة المفاجئة لزوجته ورفيقة حياته جيني فون فستفالن، مما جعل صحته المتدهورة أصلاً تزداد سوءاً. فقد كان ماركس مصاباً بالتهاب حاد في المجاري التنفسية وتورم في ألياف القفص الصدري، إضافة إلى أنه كان مدخناً شرهاً ومصاباً بأمراض جلدية مزمنة تمنعه دائماً تقريباً من الاغتسال، وبات يخشى من زحف الالتهاب الصدري إلى دماغه، فقرر بناءً على نصائح الأطباء وصديقه فريدريش إنجلز(Frederick English) وأفراد أسرته أن يمضي فصل الشتاء في مدينة الجزائر، ليواصل علاجه هناك، مستفيداً من اعتدال المناخ[8]وأنتج خلال تلك الرحلة كتابا بعنوان الملكية الجماعية للأرض وأسباب انحلالها، التاريخ والنتائج قائلا بأن: (... الجزائر بعد الهند هي التي تحتفظ بالشكل العتيق للملكية العقارية حيث كانت فيها الملكية القبلية والعائلية غير المنقسمة أوسع أشكال الملكية إنتشارا، وقد عجزت قرون من السيطرة العربية والتركية وبعد ذلك الفرنسية عن تحطيم التنظيم المبني على الدم عدا الفترة الأخيرة...)[9]. وهنا يتضح لنا أن ماركس يحاول أن يفهم البنية الإجتماعية الجزائرية[10] بمنظور إنتاجي من خلال :

الملكية المشاعية مثل لحوم الحيوانات وألبانها

[7] رابح درواش وعبد القادر خريبش، الانثروبولوجيا العامة ،دار الكتاب الحديث ،القاهرة ،2011 ،ط1،ص 183.

[8] مقال أنترنت الوسيط على الخط :http://www.fobyaa.com/2015/03/ تاريخ الدخول 2019/01/13 مقالة عن ماركس والجزائر من كتاب Marlene Vesper: Marx in Algier, Bonn 199.

[9] كارل ماركس وفريديريك إنجلز:الماركسية والجزائر، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص 55.

[10] رابح درواش وعبد القادر خريبش، نفس المرجع السابق ،ص 187.

المجلد : 11 / العدد : 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

استقلالية ذاتية في القضاء ومجالس القبائل

توزيع الأرض وفقا لمجلس القبيلة والاستثمار الجماعي

أشكال الأسرة الممتدة ونظام الإرث والهدايا والهبات وتقسيم العمل .

3. بعض الكتاب الآخرين :

كما نجد آخرين من أمثال جورج كوندوميناس (Georges Condominas)وجورج بالونديه (Georges Balandier) وروبرت جوليان (Robert Juliane)نادوا باستقلال الشعوب وبينوا الضبابية التي تتسم بها تلك الكتابات، ففي الجزائر تم رفض الانثربولوجيا بحكم أنها علم الاستعمار وتم الابقاء على CRAPE مركز البحث في الانثربولوجيا وما قبل التاريخ الموروث من فرنسا بتسيير مولود معمري، وكان هذا المركز يصدر مجلة شهيرة يصف فيها الوضع العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني لجميع مناطق الجزائر تسمى ب LA LYBIKA وكانت أيضا لروبرت جوليان محاولات في مجلة la pié blanche .

أما كتاب جزائر الانثربولوجيين فقد أشار صاحبه إلى أن نسبة الأمية في الجزائر حسب الدراسات التي تعاطاها، كانت شبه منعدمة عكس فترة ما بعد الاستعمار لأنه كان هناك نظام تعليمي قائم بذاته يعتمد على الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على بعد النظام الديني الإسلامي وتحكمه في مجريات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الجزائر، ويمكن أن نقسم الكتابات في السياق التاريخي إلى ثلاث مراحل :

1. المرحلة الأولى 1830 إلى 1871 : كتابات يطغى عليها الطابع العسكري وجلها مفبركة من الضباط الفرنسيين
2. المرحلة الثانية 1871 إلى ح ع 1 : خليط موزع في عدة اتجاهات .
3. المرحلة الثالثة 1919 إلى 1954 : كلها حول الحركات التحررية وعصبة الأمم والحركة الوطنية وطريقة إخراج المستعمر .

كما نجد كتاب أبحاث وأراء في التاريخ الجزائري لصاحبه أبو القاسم سعد الله من أحسن الكتب، التي ألفت في السياق التاريخي الجزائري بصيغة أدبية رفيعة المستوى تحدث فيها بتفصيل دقيق عن الأوضاع العامة، التي تسود الجزائر خلال تلك الفترة .

كما ظهر إلى العيان بورديو Bourdieu وقيرتز Girtez وجاك برك Jack Berque وارنست قلنر Ernest Gillner في دراسات حول المغرب العربي على أساس أنه يمثل وحدة مشتركة وثقافة جغرافية متماسفة، والبنى الإجتماعية جد متقاربة وكانت خضعت تقريبا لاستعمار واحد هو الاستعمار الفرنسي، ويقول بيرك

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

Berqueدفاعا عن هاته الشعوب (... لا يجب نهب الآخر، يجب تذوقه كما هو... إن الإلهام الغريب والحشرية العلمية هما بديل الامبريالية، طالما أنها تحيل الديانة إلى توهم والحق إلى عادة والفن إلى فولكلور)[11]وهنا يقصد التخلي عن النزعة الهمجية والعنف المستعمل مع الأهالي، فلهم الحق في العيش على أرض ليست ملكنا بل توارثوها عن أجدادهم و إن أردنا الدراسة أجرينا دراسة علمية، لنضفي على هؤلاء الطابع التحضري المدني .

كما بين من جانب آخر معاناة الجزائريين بمقولة (... إن تفكير المسلمين في العصر الحاضر قد طلق الحياة التي يعيشونها، لأن ضميرهم الذي يزداد عذابا كل يوم أكثر، أصبح يتطلب أيضا أشياء جديدة كل يوم أكثر تسمى الوعي أو الشعور...) بمعنى أن الحركة الحضارية بدأت المسير ويلزم أن يكون سيرها خلاقا ويأتي بشيء جديد للدولة[12].

إضافة إلى ذلك يعد مفهوم التعاضد الآلي الذي أسسه دوركايم (Emile Durkheim) بعد اطلاعه على أعمال كل من A.Hanateau/A.Letourneau حول عادات المجتمع القبائلي في الجزائر، حيث لاحظ هذان الباحثان أن هناك منطق ذو طبيعة اجتماعية وليس بيولوجية للترابط الدموي والعلاقات القرابية، حيث يتكافل أفراد المجتمع هنا آليا في أي عمل يقومون به من فلاحة وحصاد، وجني للمحصول وطقوس احتفالية إلخ....

في ذلك الحين تأسس قسم L'Action Sociale بعد الحرب العالمية الثانية في الجزائر، من طرف فرنسا في جامعة الجزائر وظهرت الحركة الوطنية الجزائرية مطالبة بالاستقلال نسبة للمد التحرري، فأسند هذا القسم لجيرمان تيون (Germaine Tillion)خشية ضياع المصالح الفرنسية في الجزائر، ولأنها كانت سوسيولوجية متمكنة في المكتب وانثروبولوجية في الميدان وذات طرح إنسانوي تقربت من جميع الأهالي، وتمكنت من إقامة علاقات وطيدة هاته العلاقات هي التي جعلتها فيما بعد تتبنى أفكار الاستقلال وجندت في تلك الفترة بورديو Bourdieu الذي كان يقوم بالخدمة العسكرية في منطقة القبائل، القل والشلف.

هذا الأخير أسس لنظرية رأسمال الاجتماعي والعنف الرمزي، المرتبطان أساسا بمفهوم الشرف وعليه فالاحترام بين الأفراد يسوده نوع من رأس المال الرمزي[13]، لأنه ينبع أساسا على سبيل المثال بين فالعلاقة بين الأب والأبناء داخل الأسرة الجزائرية من رأس المال المادي الذي هو مقدار تلبية الحاجيات والأساسيات الضرورية، للأبناء من طرف الأب أو رأس المال المعرفي مقدار المعرفة العلمية التي يمتلكها

[11] جيرار ليكليرك، نفس المرجع السابق، ص 43.

[12] عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 199.

[13] Lahouari Addi, Pierre Bourdieu, l'Algérie et le pessimisme anthropologique, article publier au revue des sciences sociales, université de sétif, n° 19 année 2014, P 09.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الفرد داخل أسرته ومحيطه في المج الجزائري وخصوصا المعرفة الدينية مما يفرض عليهم احترام ذاك الشخص، زد على ذلك فالمجتمع هو مجموعة طبقات سواء احببنا ام كرهنا وهذه هي النظرية، التي انطلق منها بورديو Bourdieu لفتح الباب ولو دون شعور للمعارف الانثروبولوجية حتى تستشف مصادرها من المعرفة العلمية، وتؤسس لها عن طريق الفينومينولوجيا أي الظاهرتية جميع الظواهر الاجتماعية، فالفرد ليس كما هو يريد أن يكون بل هو محدد اجتماعيا حسب طبيعة المج الذي يكون فيه.

لنجد تأكيدا على ذلك من جاك برك (Jack Berque) ابن مدينة فرندة في تيارت والذي أسندت له مهمة تولي المكاتب العربية، والتي ورثته من النظام العثماني حيث أسست فرنسا نظاما خاصا بالأوروبيين ونظاما خاصا بالأهالي، أحدثت من خلاله قطيعة معهم مع فرض الرقابة التامة عليهم، وتمكن بيرك من التملص من شرك الاستشراقيين والغوغاء التقليدية، التي تمجد مقولة البدائيين والبرابرة ويعد كتابه les structures sociales du haut atlas مرجعا رئيسيا في القبيلة لكثير من الباحثين والمشاهير في علم الاجتماع، لأنه تناول البنى الاجتماعية والتمثلات للأفراد حول الإسلام، وتأويل الثقافة إلى حد الاستعانة ببعض الآيات من القرآن في مقارباته العلمية ما أعطى لهاته الكتابات نوعا من الاستقامة، لأنه درس الزوي والطرقية والصوفية والأضرحة، الإخوان، العلماء والطبقات الاجتماعية المهمشة دراسة موضوعية دقيقة .

رابعا : التأسيس لأنثروبولوجيا الجزائر ما بعد الفترة الاستعمارية

في هذا الوقت من بدايات القرن العشرين ظهرت اتجاهات مختلفة في العالم تنادي بفصل الدين عن الدولة، وهو ما كانت تسعى له الادارة الفرنسية في الجزائر ولكنها ومع كل التجارب فشلت، مع نجاحها نجاحا نسبيا في بعض الخطط وعليه يمكن القول بأن الجزائر كانت ولا تزال مرجعا أساسيا، في الخطاب الانثروبولوجي وذلك بفضل:

1. وجود منهجية عمل خاصة في الحقل الدراسي الجزائري فالمتتبع لكتابات هؤلاء السابقين وغيرهم من أمثال ايميل ماسكوراي (Emile Masqueray)يرى بتداخل الجوانب الاقتصادية السياسية، الاجتماعية، الثقافية ولم يستطيعوا فصل السياسة عن الدين
2. استمرارية العادات والطقوس الممارسة في الوسط الشعبي الجزائري بجميع أطيافه الثقافية. وما يعاب على الباحثين الجزائريين هو عدم نبشهم في هاته الكتابات ومحاولة فهمها ونقدها وتفكيكها، وإعادة بنائها خدمة للبلاد نتيجة لما حدث بعد الاستعمار وصعوبة إنشاء دولة القانون، التي تعتمد على آليات الإنتاج والاقتصاد الحر لأننا كنا في معظمنا ولا زلنا عبارة عن مجتمع ريفي قبلي مصغر ومكبر حسب طبيعة التماسفات الجغرافية الجزائرية .
3. الجامعة الجزائرية كانت رهينة الخطاب المسيس الذي يرى بأن تطور المجتمع يلزم أن يخضع لإرادة السلطة، والقطيعة مع الاستعمار في جل أشكاله .

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الجامعة الجزائرية نالت من بيير بورديو (Pierre Bourdieu) بتبنيها في فترة ما لأطروحات فرانس فانون (Franc Fanon) التحررية وكانت ترى بأن بورديو عبارة عن حكواتي الى أن ظهر العكس .

ففانون كان ينادي بالطروحات الماركسية الاشتراكية ومحو طبقة البروليتاريا وتقاسم ثروات الشعب بين الشعب ويحسب عليه موقفه الارتجالي، في رسالة استقالته الشهيرة التي وجهها إلى الحاكم العام في الجزائر من منصبه كطبيب في مستشفى الأمراض العقلية، إبان حرب التحرير يقول : "...إن الإنسان العربي في الجزائر يحس بالغربة والوحشة في بلده .. إنه يعيش في حالة تجريد من آدميته .. إن البناء الاجتماعي الذي فرضته فرنسا على الجزائر يعادي كل محاولة لانتشال الفرد الجزائري من حالة عدم الآدمية، وإعادته إلى حالة الآدمية التي هو بها جدير .. "[14] وقد تكشفت لفانون من خلال عمله العلاجي، عقد النقص التي غرسها وعمقها الرجل الأبيض في الفرد الجزائري .. تكشفت له الأساليب الأوروبية في امتصاص دماء الكرامة من شرايين الفرد الجزائري، وإحلال الخوف والمذلة والمهانة مكانها.

أما بورديو فيقول كلما كنا فقراء كلما كنا ثائرين، ونملك القوة لمشروع تطبيقي للمستقبل. وقد عبر عن ذلك عدي الهواري في مقالة الحدود الايديولوجية للوطنية الجزائرية قائلا بان بورديو دعم الثورة ضد النظام الاستعماري ولم يدعمها كأنها تحمل مشروع سياسي حداثي.

ومنذ انتهاء الامبريالية أصبحت المواقف للشعوب النامية وخاصة المنطقة العربية أكثر حدة، كما بدا ذلك من خلال المهرجان الثقافي بالجزائر سنة 1969، حيث تم الإقرار برفض الانثربولوجيا الغربية بواسطة قيادات ورجالات العالم الثالث، حتى لا يتم تجاهل إرثهم الخاص، من خلال طرح الإشكاليات السابقة، البدائية والغرائبية وعقدة التفوق العرقي للمجتمعات الأوروبية كما يقول ليفي ستراوس (تخشى الشعوب الخارجة من الاستعمار إن تتحول الدراسة الاثنوغرافية التي تبحث عن التميز الإنساني إلى بحث عن مساواة غير مقبولة بين التحضر والاستعمارية) .

خاتمة :

ارتبطت الدراسات الإنسانية والبحوث التاريخية إلى فترة ما بأرشيف الإدارة الاستعمارية، وكل محاولة لفكها من قيودها تلاقى بسيل من الانتقادات والصعوبات و إما الفكرية أو المرجعية النظرية أو لقلة المراجع وضعف التكوين، وهو ما ساهم في جعل هذا العلم ضحية لنرجسية كل من الإدارة والجامعة الجزائرية على حد سواء فهو يلاقي عدم القبول نظرا لتاريخه المليء بالمغالطات من جهة، ولعدم تقبله من بعض الجهات المتفردة بالسيطرة على دواليب النظام التعليمي من جهة أخرى ولعدم وضحه في سوق العمل أيضا، وهو ما يجعل المدافعين عنه في عملية سجال عقيم ربما سببه أن من كتب عن تاريخ الجزائر وحاول في المضي قدما، ربما تأثر بأصوله الاجتماعية وبالبيئة السياسية المحيطة به وعمل بالوسائل

[14] مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي للنشر، بيروت، لبنان، 2005، ط 9، ص 35.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المنهجية والفكرية المتعارف عليه آنذاك، ولكن وفي الحين ذاته وعند عجز العلوم الإنسانية عن تفسير الظواهر الاجتماعية نجد اليوم سباقا كبيرا من طرف الجامعات الجزائرية لإعادة تبني هذا الاختصاص والتأطير فيه بمراكز بحث حكومية وغير حكومية وهو ما يشجع حركة البحث العلمي في هذا المجال .

المراجع :

1. P .Lucas & J .C. Vatin, L'Algérie des anthropologues ,FM/Fondation ,paris 1975 .
2. Lahouari Addi, Pierre Bourdieu, l'Algérie et le pessimisme anthropologique, article publier au revue des sciences sociales, université de sétif, n° 19 année 2014
3. جمال معتوق، الانثربولوجيا :المداخل النظرية والمفاهيم، دار الكتاب الحديث،القاهرة، 2016.
4. جيرار ليكليرك، الأنثربولوجيا والإستعمار،ت جورج كتورة، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990، ط2.
5. رابح درواش وعبد القادر خريبش، الانثروبولوجيا العامة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011.
6. عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

المجلد: 11 / العدد: 02 / الشهر: سبتمبر السنة: 2019 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

7. علي محمود اسلام الفار ، الانثروبولوجيا الاجتماعية الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية، دار المعارف، القاهرة، 1984 .

8. كارل ماركس وفريديريك إنجلز، الماركسية والجزائر، ت جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1978.

9. مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي للنشر، بيروت، لبنان، 2005، ط 9 .

10. موريس كروزويه، تاريخ الحضارات العام، ت : يوسف أسعد داغر، فريد م داغر، منشورات عويدات، بيروت/باريس، 1987.

11. الوسيط على الخط، http://www.fobyaa.com/2015/03/ تاريخ الدخول 2016/01/13
مقالة عن ماركس والجزائر من كتاب Marlene Vesper: Marx in Algier, Bonn 199